مجلة جامعة الملك سعود، م١٥، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ١٩٩-٢٤١ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)

الاستمـــاع في مجـــال الدعـــوة:
أهميته ووسائل تحسينه

عبد الله بن إبراهيم اللحيدان

أستاذ مساعد ، قسم الدعوة والاحتساب ، كلية الدعوة والإعلام ،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم لنشر في ١٤٢١/٢/٥هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٢١/٧/٢٥هـ)

ملخص البحث. يشغل الاستماع جزءا مهما من حياة كل إنسان وهو طريق أساس في تحصيل العلوم والمعرفة. وتبليغ دعوة الإسلام إلى الناس وهدايتهم إليه معظمه يتم عن طريق السماع، ولذلك فإن هذا البحث يهدف إلى إبراز مفهوم الاستماع وأهميته في مجال الدعوة إلى الله، وبيان ضرورة اهتمام الدعاة والمدعوين به، وبمعرفة طرقه وأدواته، وفي سبيل ذلك قام الباحث ببيان مدلول كل من الاستماع والإصغاء والإنصات، وأنواع الاستماع ودرجاته وأصناف المستمعين والوسائل التي تعين على حسن الاستماع. وقد قسم الباحث هذا البحث إلى فصلين يشمل كل واحد منهما ثلاثة مباحث، وأعقب ذلك بخاتمة تضمنت بعض النتائج التي توصل إليها الباحث.

المقدمة

الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، بديع الأرض والسموات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن السمع منة عظمى من الله بها على الإنسان، لا يدركها إلا من حرم منها وقد أنعم الله على الإنسان باللسان الذي ينطق به، والأذن التي يسمع بها، فإذا تعطل أحدهما فقد الإنسان جزءا كبيرا من حظه في التعلم.

ويركز كثير من الناس على تعلم الكلام وكيفية مخاطبة الآخرين، كما أن الدراسات الدعوية تركز على ذلك ببيان طرق تبليغ القول وفنون إيصاله إلا أنها قد لا تركز على الاستماع والإنصات من الداعية والمدعو.

وللاستماع درجات متفاوتة، وتحسين الاستماع وتطويره مما ينبغي أن يهتم به الداعية والمدعو على حد سواء، وهذا البحث يهدف إلى بيان مفهوم الاستماع ومايتعلق به من الإنصات والإصغاء وأهمية كل منهما في مجال الدعوة كما يهدف إلى بيان الوسائل التي تعين على السماع الصحيح.

وقد كان المرجع الأول لهذا البحث الكتاب والسنة، كما رجعت إلى كتب التفسير وشروح الأحاديث النبوية واستفدت مما ألف حديثا من الكتب العربية والكتب المترجمة التي تعنى بمهارات الاتصال ومخاطبة الآخرين.

تساؤلات البحث

من المنتظر أن يجيب هذا البحث عن عدد من التساؤلات منها:

١ ـ ما مفهوم الاستماع؟

٢ ـ ما الفرق بين الاستماع والإنصات والإصغاء؟

٣ ـ ما أهمية الاستماع في مجال الدعوة وما مميزاته؟

٤ ـ ما أنواع الاستماع ودرجاته؟

٥ ـ ما أصناف المستمعين إلى الدعوة؟

٦ ـ ما الوسائل العامة لتحسين الاستماع؟

٧ ـ ما الوسائل التي تعين الداعية على حسن الاستماع؟

٨ ـ ما الوسائل التي تعين المدعو على حسن الاستماع؟

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة ضمنتها بعض النتائج والتوصيات، ووضعت في نهاية البحث قائمة بالمصادر التي استفدت منها في كتابة هذا البحث.

أما الفصول فقد جعلت تقسيمها على النحو التالي:

الفصل الأول: الاستماع أهميته وأنواعه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الاستماع

المبحث الثاني: أهمية الاستماع ومميزاته

المبحث الثالث: أنواع الاستماع وأصناف المستمعين

الفصل الثاني: وسائل تحسين الاستماع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوسائل العامة

المبحث الثاني: الوسائل المتعلقة بالداعية

المبحث الثالث: الوسائل المتعلقة بالمدعو

أسأل الله التوفيق والسداد وأن يكون هذا البحث نافعًا مفيدًا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول: الاستماع أهميته وأنواعه

المبحث الأول: مفهوم الاستماع

تتعدد المعاني والألفاظ التي ترتبط بالسمع، فالاستماع والإنصات والإصغاء كلها تدور حول معنى واحد إلا أن بينها اختلافاً في المدلول ويتضح ذلك بالرجوع إلى مصادر اللغة لمعرفة مدلول كل كلمة منها.

١ ــ الاستماع

قال الراغب الأصفهاني: السمع قوة في الأذن يدرك الأصوات وفعله يقال له السمع أيضاً، وقد سمع سمعاً، ويعبر تارة بالسمع عن الأذن نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۝٧﴾ [سورة البقرة، آية ٧] وتارة عن فعله كالسماع نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [سورة الشعراء، آية ٢١٢]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [سورة ق، آية ٣٧]، وتارة عن الفهم وتارة عن الطاعة قال تعالى عن اليهود: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ۝٩٣﴾ [سورة البقرة، آية ٩٣] أي فهمنا قولك ولم نأتمر به [١، ص٢٤٨].

وفي *لسان العرب*: "السمع: حسّ الأذن، واستمع له وإليه وتسمع إليه: أصغى، والسمع ما وقر في الأذن من شيء تسمعه" [٢، جـ ٨، ص ١٦٢].

فالسمع هو إدراك الصوت بحاسة الأذن ويتفاوت الناس في ذلك على ما سيأتي بيانه عند الحديث عن أنواع الاستماع.

ويأتي السمع بمعنى الإجابة كقول سمع الله لمن حمده يعني: استجاب.

والسمع المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: "سمع يتعلق بالمسموعات فيكون معناه إدراك الصوت، وسمع بمعنى الاستجابة فيكون معناه يجيب من دعاه؛ لأن الدعاء صوت ينطلق من الداعي، وسمع الله دعاءه يعني استجاب دعاءه، وليس المراد سمعه مجرد سماع فقط؛ لأن هذا لا فائدة منه؛ بل الفائدة أن يستجيب الله الدعاء» [٣، ص٢٧٢].

٢ ــ الإنصات

الإنصات جزء من الاستماع فلا يتم الاستماع الصحيح إلا به، وهو يعني السكوت.

قال ابن فارس: "النون والصاد والتاء كلمة واحدة تدل على السكوت" [٤، جـ٥، ص٤٣٤].

وقال ابن الأثير: "أنصت ينصت إنصاتا إذا سكت سكوت مستمع" [٥، جـ٥، ص٦٢].

والمراد بالإنصات هنا إنصات الاستماع وهو الأصل، قال ابن منظور: "الإنصات هو السكوت والاستماع للحديث، ويقال: أنصتوني أي: استمعوا إليّ" [٢، جـ٢، ص٩٨].

الفرق بين الإنصات والاستماع

ونظراً لما بين الاستماع والإنصات من الارتباط فقد يفسر أحدهما بالآخر. قال ابن كثير رحمه الله: "قوله تعالى ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ﴾ [سورة الأحقاف آيات: ٢٦-٣٠] أي: استمعوا" [٦، جـ٤، ص١٧٩].

وهو تفسير للغاية من الإنصات إذ المقصود منه الاستماع، كما قال الشوكاني رحمه الله: "أي قال بعضهم لبعض اسكتوا أمروا بعضهم بعضا بذلك؛ لأجل أن يسمعوا" [٧، جـ٥، ص٢٥].

وهذا كله يبين أن "الإنصات إنما يراد به في الأصل الاستماع" [٨، جـ٧، ص٣٥٤].

وهذه المعاني للإنصات تبين أهميته في عملية السماع إذ لا يكتمل فهم المرء وعلمه حتى يجتمع له الاثنان.

إن حسن الاستماع لا يعني بالضرورة مجرد الإنصات، كما أن الاستماع بدون الإنصات لا يحقق السماع الصحيح، إذ أن الإنصات يكون للفهم ولذلك فإن تقليل الكلام من حسن الإصغاء والإنصات [٩، جـ٢، ص٨١٣؛ جـ٣، ص٥٨٥؛ ١٠، ص١١١].

وقد جاء الأمر بالجمع بين الاستماع والإنصات في كتاب الله حال سماع القرآن العظيم. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف، آية ٢٠٤].

قال قتادة: " كانوا يتكلمون في الصلاة أول ما أمروا بها، كان الرجل يجيء وهم في الصلاة فيقول لصاحبه كم صليتم؟ فيقول كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴿٢٠٤﴾ ﴾، فأمروا بالاستماع والإنصات، علم أن الإنصات هو أحرى أن يستمع العبد ويعيه ويحفظه، علم أن لن يفقهوا حتى ينصتوا، والإنصات باللسان والاستماع بالأذنين" [١١، جـ٢، ص٢٨٦].

ويزيد الأمر وضوحاً في التفريق بين الاستماع والإنصات ما قاله ابن حجر رحمه الله: "وقد وقع التفريق بين الإنصات والاستماع في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف، آية ٢٠٤] ومعناهما مختلف. فالإنصات هو السكوت، وهو يحصل ممن يستمع وممن لا يستمع كأن يكون مفكراً في أمر آخر" [١٢، جـ١، ص٢١٧].

ويرى الإمام ابن حجر - أيضاً - أن الاستماع قد يكون مع السكوت وقد يكون مع النطق بكلام آخر لا يشتغل الناطق به عن فهم ما يقول الذي يستمع منه [١٢، جـ١، ص٢١٧].

وهذا الذي ذكره لا يتصور إلا أن يستمع المرء في حال سكتاته عن الكلام؛ أما إذا كان المرء مسترسلاً في الكلام فلا يستطيع السمع وفهم ما يريده منه المتكلم على الوجه الصحيح. وإذا كان الإنصات يتعلق باللسان أي السكوت فإنه يتعدى إلى الإنصات بالعينين أيضاً، "قال مطرف بن عبدالله: الإنصات من العينين، وقال علي بن المديني: إذا حدثت رجلاً فلم ينظر إليك لم يكن منصتاً، وهذا محمول على الغالب والله أعلم" [١٢،

جـ١ ، ص٢١٧]. ومن هنا فإن الإنصات لا يقتصر على السكوت فقط بل ينصت المرء بعينيه وذلك بتركيز الانتباه على حركات المتحدث وانفعالاته، ومشاعره وتعبيراته اللغوية والجسدية [١٣ ، ص١١٩].

ويرى السعدي رحمه الله أن الأمر يتجاوز ذلك إلى ترك ما يشغل عن الاستماع قال ـ رحمه الله : "والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر ترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع فهو أن يلقي سمعه ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله فإنه ينال خيراً كثيراً، وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه" [١٤ ، ص٢٧٦].

ويتبين من هذا أن الاستماع يكون بالأذن، والإنصات قدر زائد يعني تركيز حاستي السمع والبصر على كلام المتحدث وعدم الاشتغال بشيء آخر عنه سواء بالحديث أو الحركة.

٣ ــ الإصغـــــاء

والإصغاء له تعلق خاص بالسمع وهو ثالث المفردات المتعلقة بالسمع ولنتبين ذلك نعرض لمدلوله اللغوي.

جاء في معجم *مقاييس اللغة* : "الصاد والعين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الميل، وأصغى إليه مال بسمعه نحوه وأصغيت الإناء أملته" [٤ ، جـ٣ ، ص٢٨٩].

وفي *لسان العرب* : "أصغى إليه رأسه وسمعه : أماله" [٢ ، جـ١٤ ، ص٤٦١].

فالإصغاء يعني الإمالة بالشيء وفي *صحيح البخاري* رحمه الله قالت عائشة رضي الله عنها : "كان النبي ﷺ يصغي إلي رأسه وهو يجاور في المسجد فأرجله وأنا حائض" [١٥ ، الاعتكاف ، ٢].

قال ابن حجر رحمه الله : "يصغي أي : يميل" [١٢ ، جـ٤ ، ص٢٧٣].

والإصغاء يشمل المعنيين الحسي والعاطفي، فقد يصغي الإنسان برأسه أو جسده نحو الآخر وقد يصغي بقلبه، ومن هنا فإن الإصغاء الذي هو الميل قد يكون بالجسد وقد يكون بالقلب، وقد جاء الإصغاء في القرآن الكريم مرتبطا بالقلب بصفة خاصة كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴿٤﴾﴾ [سورة التحريم، آية ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة الأنعام، آية ١١٣]، قال البغوي: "أي تميل إليه" [١٦، جـ٣، ص١٨]. ولعل في ذلك إشارة إلى أن الإصغاء للسمع متعلق بالقلب بشكل أكبر، أي أن السامع لابد أن يجمع بين الاستماع والإنصات والإصغاء الذي هو الميل بالقلب نحو المتحدث.

ولا يقف الإصغاء عند هذا المعنى بل هو ميل بالجسد أيضاً إلى المتحدث بمعنى أن يميل السامع بجسمه نحو المتحدث.

والإصغاء يكون من المدعو إلى الداعية ويكون أيضاً من الداعية إلى المدعو، إصغاء حسياً بميل أحدهما إلى الآخر مقترباً منه، وإصغاءً عاطفياً بميل القلب بالمحبة، وإصغاء بالسمع لما يقول كل منهما.

ويتبين لنا بعد عرض المدلول اللغوي للكلمات الثلاث: السماع والإنصات والإصغاء أن الاستماع بالأذن والإنصات باللسان والعين والإصغاء بالقلب والجسم، وإن توافر هذه الثلاث في الداعية والمدعو من متطلبات الدعوة الرئيسة ولوازمها، وسيأتي مزيد بيان للضوابط المكملة لها إن شاء الله.

المبحث الثاني: أهمية الاستماع ومميزاته

أولاً: أهمية الاستماع

الاستماع إحدى المهارات الأساسية لتحصيل العلوم والمعرفة وهو طريق إلى فهم المسائل وإدراك حقائق الأشياء.

ويمضي المرء جزءاً كبيراً من حياته مستمعاً، بل إن الإنسان يقضي معظم سنوات تحصيله الدراسي مستمعا. وتشير إحدى الدراسات على طلبة إحدى المدارس إلى أن الطلاب يمضون من الوقت ٥٢,٥٪ في الاستماع، ١٧,٣٪ في القراءة، و١٦,٣٪ في الكلام و١٣,٩٪ في الكتابة [١٧، ص١٥].

إن قدرة العقل على استقبال المعلومات أكبر من قدرته على إرسالها، وإذا كان الناس يتكلمون ١٢٠ كلمة في الدقيقة فإنهم يستمعون ٤٨٠ كلمة في الدقيقة، أي أربعة أضعاف ما يتكلمون [١٣، ص١٢٤؛ ١٨، ص٢٨].

ولذلك فإن مدار تحصيل الإنسان يتوقف على كيفية استماعه وإتقانه للاستماع.

وليس بدعاً أن تهتم كثير من الدراسات في المجتمع الغربي بالاستماع وتجرى الدراسات والبحوث لبيان أهميته حتى أصبح الاستماع فناً يتعلمه الأفراد كما يتعلمون الكلام [١٩، ص٢٤٥؛ ١٣، ص١١٩].

إن المتأمل للمدلول اللغوي السابق يتبين له اهتمام العرب بالسماع، وإذا كان العرب إبان تنزل القرآن من أكمل أمم الأرض بياناً ومنطقاً فإن لهم حظاً وافراً من السماع.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانوا يتعلمون السماع كما يتعلمون الكلام، وقد أورد الخطيب البغدادي في *كتاب الفقيه والمتفقه* ما يشير إلى ذلك عن أحد الحكماء أنه قال لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام، فإن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه والنظر، وترك المشاركة في حديث أنت تعرفه [٢٠، جـ٢، ص٣٣١].

كما كان العرب يتعلمون الإنصات كما يتعلمون الكلام، قال أبو الذيال: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن كان الكلام يهديك فإن الصمت يقيك ولك في الصمت

خصلتان: خصلة تأخذ بها من علم من هو أعلم منك وتدفع بها جهل من هو أجهل منك [٢١، جـ١، ص١٣٨].

وكان العلماء قديمًا وحديثًا يتواصون بضرورة الاستماع والإنصات ويرون أن العلم يبدأ بهما، قال سفيان الثوري: أول العلم الإنصات ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم النشر [٢٢، ص٣٤]، ومثله أيضاً روي عن محمد بن النضر الحارثي. قال: "كان يقال أول العلم الإنصات له ثم الاستماع له ثم حفظه ثم العمل به ثم بثه" [٢٣، ص٥١٠؛ ٢٤، جـ٨، ص١٧٥].

والاستماع والإنصات والإصغاء طريق أساس إلى فهم الحق ومن ثم قبوله، ومما يشهد لذلك ويؤيده ما جاء في صحيح مسلم من حديث ضماد ـ رضي الله عنه ـ وكان من أزد شنوءة فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، فلما عرض على النبي ﷺ أن يرقيه قال رسول الله ﷺ: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد." فقال ضماد لما سمع هذه الكلمات: أعد علي كلماتك هؤلاء" فأعادهن رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، فبسط يده وأسلم [٢٥، الجمعة، ١٣].

بهذه الكلمات القصيرة تحقق إسلام ضماد رضي الله عنه، فالسماع الصحيح يقود إلى القبول والإذعان للحق، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين الذين قادهم السمع إلى القبول والطاعة والإذعان قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة، آية ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ﴾ [سورة

الزمر، الآيتان ١٧ ، ١٨] ، والسماع الصحيح يوجب للقلب أحوالاً عظيمة من الاستجابة والتأثر والراحة والطمأنينة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ الشاهدين ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة، آية ٨٣]، فالسماع رسول الإيمان إلى القلب، وداعيه ومعلمه، وهو أصل العقل وأساس الإيمان الذي انبنى عليه [٢٦، جـ١ ، ص٤٨٢].

وقد جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تحذر من سلوك سبيل المغضوب عليهم الذين سمعوا سماع تعنت وعناد وعصوا رسل الله وقالوا سمعنا وعصينا، فغطوا أسماعهم إلا عن سماعٍ يقصدون به رد الحق أو تحريفه.

وفي قصص الأنبياء عليهم السلام وهديهم ما يبين أنهم كانوا أكمل الناس في الاستماع والإنصات فهم يستمعون إلى مخالفيهم وينصتون لهم عندما يتحدثون، ويصبرون على ما يكون منهم من سفاهة في القول ومخالفة في الرأي وسخرية بالدعوة وعناد في دفع الحق.

إن التربية على الإنصات وحسن الاستماع من آداب الإسلام الظاهرة، حيث يؤمر المسلم بالاستماع والإنصات حال قراءة القرآن، إذ هو موضوع الدعوة ومادتها، فينبغي للمدعو أن ينصت إليه فهو أدعى إلى التأثر به، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف، آية ٢٠٤] .

قال البقاعي: "فاستمعوا له: أي ألقوا إليهم أسماعكم مجتهدين في عدم شاغل يشغلكم عن السمع، ولما كان بعض الفهماء يسمع وهو يتكلم، أشار إلى أن هذا الكتاب أعلى قدرا من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل، فقال: وأنصتوا أي للتأمل والتدبر

لتنجلي قلوبكم فتعلموا حقيقته فتعملوا بما فيه ولا يكون في صدوركم حرج منه" [٢٧، جـ٣، ص١٧٨].

وقد قصر بعض العلماء الإنصات على قراءة القرآن في الصلاة استنادا إلى سبب نزولها ورد ذلك بعض العلماء، قال الشوكاني رحمه الله: "أمرهم الله سبحانه بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته؛ لينتفعوا به ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح، قيل: هذا الأمر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الإمام، ولا يخفاك أن اللفظ أوسع من هذا والعام لا يقصر على سببه، فيكون الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في كل حالة وعلى أي صفة مما يجب على السامع" [٧، جـ٢، ص٢٨٠].

والإنصات إلى الخطبة كذلك من شعائر الإسلام وواجباته، قال ابن القيم رحمه الله: "ومن خصائص يوم الجمعة: الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوبا في أصح القولين فإن تركه كان لاغيا ومن لغا فلا جمعة له" [٢٨، جـ١، ص٣٧٧].

وقد حذر رسول الله ﷺ من اللغو ومن كل ما يصرف المستمع عن الخطبة بقول أو فعل، ففي *الصحيحين* مرفوعا: "إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت" [١٥، الجمعة، ٣٦؛ ٢٥، الجمعة، ٣].

قال الإمام النووي رحمه الله: "ومعنى لغوت أي: قلت اللغو وهو الكلام الملغي الساقط الباطل المردود، وقيل: معناه قلت غير الصواب، وقيل: تكلمت بما لا ينبغي، ففي الحديث: النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه لأنه إذا قال: أنصت وهو في الأصل أمر بمعروف، وسماه لغوا فغيره من الكلام أولى" [٢٩، جـ٣، ص٣٨٧]. كما أرشد النبي ﷺ إلى فضل الاستماع والإنصات كما جاء في رواية لمسلم: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا" [٢٥، الجمعة آية ٨].

إن خطبة الجمعة زاد للمسلم يتكرر كل أسبوع، وفي إيجاب الإنصات إليها دليل على حرص الإسلام على توفير كل أسباب الاستفادة من الخطبة من التطهر والتطيب، إذ أن الرائحة الكريهة تضايق المدعو وتعيق من حالة الإنصات لديه.

وجدير بالذكر أن الإنصات في خطبة الجمعة يفوق الإنصات في أي وسيلة أخرى، فالإنصات فيها ليس اختياريا بل واجب على المصلين وكلما ارتفع معدل الإنصات للخطبة ارتفع رصيدهم من الجزاء عند الله [٣٠، ص٨٤].

إن إهمال الإنصات حال سماع القرآن الكريم وعند سماع خطبة الجمعة مع كونه يوقع الإنسان في المحظور ويوجب الإثم لمن تعمده فإنه أيضا يفوت الانتفاع بهما ومن عطل قلبه عن سماع القرآن والانتفاع بالخطبة تسبب في قسوة قلبه أو فساده، وفي تكرر سماع الإنسان للقرآن في كل يوم وسماعه للخطبة كل أسبوع تربية عملية على الاستماع والإنصات.

ثانيا : مميزات الاستماع

تبين من خلال الحديث عن أهمية الاستماع وفضله ما يحصله المستمع من فوائد متعددة، وفي مجال الدعوة فإن المستمع بحق يستجيب للدعوة ويتأثر بها.

ومن خلال الهدي النبوي يتبين لنا أهمية الاستماع ومميزاته فمع أنه طريق أساس لقبول الحق واتباعه فإن له ميزات أخرى يفيد منها الداعية والمدعو ونجمل هذه المميزات فيما يلي:

١ ـ إن الاستماع طريق إلى فهم المدعوين، ومعرفة احتياجاتهم مما يجعل الداعية يحيط بما حوله ويفهم بيئة المدعو وما يناسب في دعوته.

٢ ـ إن الاستماع الجيد يزيل المشكلات التي تنشأ عن عدم فهم ما يريده المدعو، وبالتالي فإنه يجعل الداعية يستطيع اتخاذ الوسيلة المناسبة في الدعوة، ويجنبه المشكلات التي تعيق الدعوة.

٣ ـ إن الاستماع الجيد يجعل الداعية متمكنا في دعوته، ويجعل المدعو أيضا واثقا من نفسه في استجابته للحق وفهمه، فالاستماع الجيد زيادة في قوة الداعية والمدعو على حد سواء وهو أيضا دليل على الذكاء.

٤ ـ إن الاستماع الجيد طريق إلى نفوذ المستمع إلى المتحدث وتغلغله في نفسه وطريق إلى كسب الاحترام، والناس عموما يحبون من يستمع إليهم أكثر من محبتهم من يستمعون إليه.

٥ ـ إن الاستماع الجيد طريق إلى امتصاص غضب المدعو، وتهدئته، كما أنه يجلب المحبة ويقوي مكانة الداعية عند الآخرين، ويعزز من فرص نجاح الدعوة [١٨، ص٢٦؛ ٣١، ص١٣٤].

المبحث الثالث: أنواع الاستماع وأصناف المستمعين

المطلب الأول: أنواع الاستماع

قبل الحديث عن أنواع الاستماع لابد من الإشارة إلى موضوع الاستماع فإذا كان السماع أصل العقل ورسول الإيمان إلى القلب فإن الشأن كله في المسموع ومضمونه.

قال ابن القيم رحمه الله: "المسموع على ثلاثة أضرب:

أحدها: مسموع يحبه الله ويرضاه وأمر به عباده وأثنى على أهله ورضي عنهم به.

الثاني: مسموع يبغضه ويكرهه ونهى عنه ومدح المعرض عنه.

الثالث: مسموع مباح مأذون فيه لا يحبه ولا يبغضه، ولا مدح صاحبه ولا ذمه، فحكمه حكم سائر المباحات من المناظر والمشام والمطعومات والملبوسات المباحة، فمن

حرم هذا النوع الثالث، فقد قال على الله ما لا يعلم وحرم ما أحل الله، ومن جعله دينا وقربة يتقرب به إلى الله فقد كذب على الله وشرع دينا لم يأذن به الله وضاهأ بذلك المشركين" [٢٦، جـ١، ص٤٨٢].

ومجال هذا البحث يتعلق بالنوع الأول فالدعوة إلى الله والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وشرائع الإسلام وآدابه من أعظم المسموعات وأحسنها ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة فصلت، آية٣٣].

وهذا النوع ترتبط به حياة القلب فمن حرمه مات قلبه وشقي في الدنيا والآخرة، وتتفاوت سعادة الناس بحسب حظهم من هذا النوع فمن أوتي حظا منه زاد إيمانه ودخل النور إلى قلبه.

ومن هنا فإن السمع طريق إلى حياة القلب، ولا حياة للمرء إلا بحياة قلبه وسمعه وإذا طبع على القلب حيل بينه وبين السمع قال تعالى: ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [سورة الأعراف، آية، ١٠٠].

قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية: "نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما" [٣٢، جـ٩، ص٩]، فإذا طبع على القلب لم ينتفع صاحبه بسمعه.

فبين القلب والسمع ارتباط وثيق قال تعالى في سورة ق بعد سياق الحديث عن البعث والنشور وأحوال القيامة والاحتضار ومآل أهل الجنة وأهل النار قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة ق، آية٣٧].

قال الإمام البغوي: "استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألق إلي سمعك أي استمع، وهو شهيد أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه" [١٦، جـ٧، ص٣٦٤].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: "الناس ثلاثة: رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل قلبه حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة إما لعدم ورودها أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها فهو غائب القلب ليس حاضرا فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه فهو شاهد القلب ملق السمع فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشاهدة" [٢٦، جـ١، ص٤٤٢].

فلا يكفي وجود القلب بل ولا حياته واستعداده بل لابد معه من الاستماع والإصغاء للآيات المتلوة والمشاهدة.

ويقدر اهتمام المدعوين بحسن الاستماع يكون نصيبهم من الدعوة وقبولها والعمل بها.

وتتفاوت مراتب الاستماع والإنصات بحسب مراتب المستمعين، ويمكن أن نستدل على هذه المراتب من خلال ما تقدم من الحديث عن المعنى اللغوي للاستماع والإنصات والإصغاء، فكل واحدة من هذه الثلاث لها مراتب، ومن كمل نفسه بأن جمع بين حسن الاستماع وحسن الإنصات وحسن الإصغاء انتفع بما يقال وتأثر به.

إن من الناس من يحسن الاستماع دون الإنصات أو يحسن الاستماع والإنصات دون الإصغاء فيكون حظه أقل من التأثر والإجابة.

ولا يعني أن حصول هذه الثلاث مجردة توصل إلى ذلك التأثر بل لا بد من الفهم والعقل، ولذلك فإن الاستماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

الأول: سماع إدراك بحاسة الأذن.

والثاني: سماع فهم وعقل.

والثالث: سماع فهم وإجابة وقبول [٢٦، جـ١، ص٤٨٥].

والسماع الأخير هو الذي أمر الله به وأثنى على أهله.

فالكفار قد سمعوا سماع الإدراك ولكنهم لم يفهموا ويعقلوا ما جاء عن الله، وذلك لما على قلوبهم من الأسباب التي تمنع من الفهم قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام، آية ٢٥].

بل إن بعض الكفار لو سمعوا سماع فهم لم ينقادوا إلى الحق كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأنفال، آية ٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أي لأفهمهم ما سمعوه ثم قال ولو أفهمهم مع هذه الحال التي هم عليها لتولوا وهم معرضون، فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو فهموا لم يعملوا فنفى عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية" [٣٣، جـ٧، ص٢٦]. فهؤلاء الكفار سمعوا سماع إدراك بآذانهم ولما ينقادوا للحق أو يفهموه بل وإن فهموه فإنهم لن ينقادوا إليه "لأن في قلوبهم من دواعي التولي والإعراض ما يمنعهم من الانتفاع بما سمعوه" [٢٦، جـ١، ص ص٤٤، ٤٨٤].

إن إدراك الصوت بالأذن وسماعه المجرد لا يوجب لصاحبه الثمرة المرجوة منه، فالدعوة أحوج ما تكون إلى آذان صاغية مع قلوب واعية، والتبليغ الذي أمر به الأنبياء عليهم السلام ليس مجرد إيصال الصوت إلى السامعين دون أن يعقلوا ويفهموا ويعملوا بما سمعوه، ولذلك فقد راعى الأنبياء عليهم السلام ذلك حين تبليغهم الرسالة فأخذوا بكل الأسباب التي تعين على سماع المدعو سماعا صحيحا مما سيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني. وجدير بالذكر هنا أن القصد في الاستماع إحدى أهم مراتبه ومستلزماته فلا يتحقق سماع صحيح إن لم تكن نية صادقة في قلب المستمع، ولذلك فإن المرء لا يؤاخذ بمجرد السماع المحرم.

قال ابن تيمية رحمه الله : "فالرجل لو يسمع الكفر والكذب والغناء من غير قصد منه بل كان مجتازا بطريق فسمع ذلك لم يأثم بذلك باتفاق المسلمين، ولو جلس واستمع إلى ذلك ولم ينكر، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده كان آثما باتفاق المسلمين" [٣٣، جـ٣٠، ص٢١٢].

وكذلك الأمر في الثواب والأجر فلو كان الرجل مارا فسمع القرآن من غير أن يستمع إليه لم يؤجر على ذلك وإنما يؤجر على الاستماع الذي يقصد، فالأمر والنهي والوعد والوعيد متعلق بالاستماع لا بالسماع [٣٣، جـ٣٠، ص ص٢١٣، ٢١٤].

وأما ما لم يقصد الإنسان من الاستماع فلا يترتب عليه لا نهي ولا ذم باتفاق الأئمة، ولهذا إنما يترتب الذم والمدح على الاستماع لا على السماع، فالمستمع للقرآن يثاب عليه والسامع له من غير قصد وإرادة لا يثاب على ذلك إذا الأعمال بالنيات [٣٣، جـ١٠، ص٧٨].

فالسماع يختلف عن الاستماع في أن الأول إدراك الصوت دون بذل الجهد.

أما الثاني ففيه بذل الجهد في السماع [١٧، ص١٥].

ويتعدى أمر النية إلى أبعد من ذلك إذ أن المستمع لابد أن يكون سماعه بنية الفهم والاستجابة للحق، وهذا الأمر له أهميته العظيمة في ميدان الدعوة، إذ أن إيصال الدعوة وخصوصا الدعوة الفردية يتم عن طريق الحوار والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن إن تطلب الأمر ذلك، وكل هذه تتطلب حسن الاستماع، بل تتطلب أيضا القصد الصحيح في الاستماع. "إن أغلب الناس لا يستمعون بنية الفهم بل يستمعون بنية الرد، فهم إما أن يتكلموا أو يستعدوا للكلام" [١٩، ص ٢٤٥]، وإن الاستماع بنية الرد يقلل كثيرا من قبول الحق بل قد يجعل على القلب غطاء عن قبول الحق والانقياد له.

ثم يستدل الإمام ابن تيمية على هذه الأصناف الأربعة من القرآن الكريم، فالصنف الأول، الذين قال الله فيهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة فصلت، آية٢٦].

والصنف الثاني: من سمع الصوت ولم يفقه المعنى كمن قال الله فيهم: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة البقرة، آية١٧١]، ومن قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام، آية٢٥].

قال رحمه الله: وليس كل من سمع وفقه يكون فيه خير بل قد يفقه ولا يعمل بعلمه فلا ينتفع به فلا يكون فيه خيرا.

والصنف الثالث، من سمع الكلام وفقهه لكنه لم يقبله ولم يطع أمره كاليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [سورة النساء، آية٤٦].

والصنف الرابع: الذين سمعوا سماع فقه وقبول فهذا هو السماع المأمور به كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة، آية٨٣].

وهذا الأصناف من المستمعين تتفاوت بحسب استعداد السامع وقوة المسموع ومادته، وكل صنف من هذه الأصناف ينقسم إلى مراتب بحسب ذلك [٣٣، جـ١٦، ص ص١٢، ١٣].

ومعنى كنت سمعه يعني أني أسدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله أي أن الله يسدده ويحفظه في سمعه [٣٥، جـ٥، ص٣١٧؛ ٣٦، ص٢٣].

إن هذا الصنف من السامعين لا يسمعون إلا بالله وهم من امتدحهم الله بقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ لسورة القصص، آية٨٢]. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الفرقان، آية ٨٢]، وقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة، آية ٨٣].

وهؤلاء قد بلغوا الغاية في تنزيه أسماعهم عن الباطل واللغو، وهم عند سماع الحق يلقون أسماعهم وينصتون بألسنتهم وأعينهم ويصغون بقلوبهم وأبدانهم فينتفعون بالذكرى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة ق، آية ٣٧]، "وإلقاء السمع مستعار لشدة الإصغاء للقرآن ومواعظ الرسول ﷺ كأن أسماعهم طرحت في ذلك فلا يشغلها شيء آخر تسمعه" [٣٧، جـ٢٦، ص٣٢٤].

الفصل الثاني: وسائل تحسين الاستماع

مما تقدم يتبين لنا أهمية الاستماع، وتتركز أهمية الاستماع في مجال الدعوة أنه يحدد درجة الاستجابة عند المدعوين، ولذلك فإن من الضروري أن يأخذ الاستماع حظه من الاهتمام به وبالوسائل التي تعين عليه، وسوف أعرض في هذا الفصل لأهم الوسائل المعينة على الاستماع الجيد، وقبل ذلك لا بد من التأكيد على أن السماع الظاهر قد يتحقق لكل أحد، ولكن السماع الصحيح النافع لا يكون إلا لمن يكرمه الله بذلك.

وقد ذكر ابن جماعة في *تذكرة السامع والمتكلم* أن على المستمع أن يكون كامل الهيئة، متطهر البدن والثياب نظيفهما، وأن يكون قلبه فارغاً من الشواغل، وذهنه صافياً، لا في حال نعاس ولا غضب أو جوع شديد أو عطش أو نحو ذلك؛ لينشرح صدره لما يقال ويعي ما يسمعه [٣٨، ص٩٦]، وهذا وإن كان متعلقاً بالمدعو إلا أنه يتعلق بالداعية أيضا.

ثالثا: التزام هيئة المنصت

وذلك بالإقبال على المتحدث والإصغاء إلى حديثه. فيقبل بوجهه على المتحدث ولا يعرض عنه، ويجلس جلسة مريحة هادئة، ولا يلتفت أثناء السماع إلا لحاجة؛ ليتحقق له السماع الجيد، كما يبتعد عن العبث بيديه أو بشيء يصرفه عن الاستماع، ولا يقاطع المتحدث أو يفكر في ذلك دون حاجة، بل يركز على الإنصات للمتحدث بقوله وفعله، ويقسم الشيخ محمد بن عثيمين الاستماع إلى قولي وفعلي ويبين كيفية هذا وهذا بقوله: "وحسن الإصغاء يكون بالقول والفعل أما بالقول فبألا يتكلم إذا كان جليسه يتكلم فيحصل بذلك التشويش بأن يكون كل واحد يتكلم مع جليسه والذي ينبغي في المجالس أن يكون الكلام كلاما واحدا حتى ينتفع الناس جميعا بما يتكلم به بعضهم، وأما الإصغاء بالفعل فينبغي إذا كان الإنسان يحدثك أن تقبل عليه بوجهك ولا تلتفت يمينا وشمالا، لأنك إذا التفت يمينا وشمالا وهو يحدثك نسبك إلى الكبرياء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [سورة لقمان، آية١٨]، فينبغي أن تصغي إليه وأن تقابله بوجهك حتى يعرف أنك قد أحسست به" [٣٥، جـ٧، ص٧٤].

حال الاستماع يعود على المستمع بالفائدة فإن إنصاته للجهال زيادة في الحلم وإنصاته للعلماء زيادة في العلم [٤٠، ص٤٤].

٢ ـ التواضع. وهو من الأخلاق المهمة لتحقيق الاستماع الجيد، إذا أن الكبر من أكبر الموانع عن سماع الآخرين، وهو من الصوارف عن سماع الحق قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ [لقمان، آية٧]، وقال تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الجاثية، آية٨]، وقال تعالى عن الوليد بن المغيرة لما سمع الحق من رسول الله ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [سورة المدثر، الآيتان ٢٣، ٢٤].

فالكبر أعظم الأدواء التي تصرف عن سماع الحق ومتى اتصف الإنسان به فلن يستمع لأحد إلا ما يوافق طبعه وهواه.

ولذلك كان التواضع خلقا عظيما يبعث على سماع الآخرين سواء كان الحديث من موافق أو مخالف ومن صغير أو كبير أو ذكر أو أنثى.

والتواضع يبعث على قبول الحق بعد سماعه بخلاف الكبر فإن المستكبر قد يستمع إلى الحق ولا يقبله لما جعل الله في قلبه من الأغطية التي تمنع من ذلك، قال تعالى: ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة الأعراف، آية١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [سورة الأنعام، آية٢٥].

٣ ـ الأمانة. فقد يتظاهر الإنسان بالسماع والإصغاء ولكنه بخلاف ذلك؛ لذا كان الاستماع يتطلب أمانة من المستمع مع نفسه [٤١، ص٣١]، وإن من الخيانة والكذب أن يتظاهر الإنسان بالاستماع وهو لا يسمع، وقد جاء ذم هذا النوع من الناس في القرآن الكريم في عدة آيات قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا

ومما يدعو المستمع إلى مزيد من الإنصات أن يكون موضوع الحديث في دائرة اهتمامه ووفق احتياجاته وتخصصه، حيث يتفاوت الناس في أعمالهم، فما يناسب التاجر مثلاً قد لا يناسب المزارع وما يناسب المعلم قد لا يناسب الطبيب، ولذلك فإن الموضوع يتحكم في أحيان كثيرة في إنصات المستمع إلى المتحدث.

المبحث الثاني: الوسائل المتعلقة بالداعية

أولا: إدراك الداعية لحد الاستماع ومدلوله

إن إدراك الداعية لحد الاستماع ضرورة ينبغي أن يتذكرها قبل أن يباشر دعوته، فللإنسان حد في الاستماع، وكان هدي النبي ﷺ أن لا يطيل في الموعظة، وجاء في صحيح البخاري أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يحدث أصحابه ويعظهم كل خميس فلما سأله أحدهم أن يحدثهم كل يوم امتنع من ذلك وقال: "أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا" [١٥، العلم، ١٢].

قال الإمام النووي: "يتخولنا: يتعهدنا" [٤٢، ص٢٥١]، وقال ابن علان، في *دليل الفالحين*: "أي يراعي الأوقات في وعظنا ولا يفعله كل يوم، فإن النفوس من طبيعتها الملل مما يداوم عليها وإن كان محبوبا لها" [٤٣، جـ٣، ص١٧٢].

إن من فقه الداعية أن يدرك أن للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الإسهاب الذي عابه الحكماء [٤٤، جـ١، ص٩٩؛ ٤٥، جـ١، ص١٩٩].

ولا يظن الداعية أن صواب كلامه وصدقه سبيل إلى الإطالة؛ لأن النفوس تمل إذا أكرهت على الشيء وإن كان حقا.

دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأيتك رئيا[٢] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع[٣] على الرجل حتى يداوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال أفعل. فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [سورة فصلت، الآيات ١ ـ ٥]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منها، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

إن استماع النبي ﷺ إلى عتبة حتى فرغ من حديثه ثم تلطفه معه ومناداته بكنيته بقوله أفرغت يا أبا الوليد؟ قد فتح آفاقا لسماع حديث رسول الله ﷺ سماعا تأثر به حتى قال أصحابه بعد أن رجع إليهم: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا

---

٢ الرئي: ما يتراءى للإنسان من الجن [٥، جـ٢، ص١٧٨].

٣ التابع: الصحاب من الجن [٥، جـ١، ص١٨٠].

الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم [٤٨، جـ١، ص٣٣٠؛ ٤٩، جـ٢، ص٦٣٨].

فلا بد أن يكون الداعية حليما في استماعه للمدعوين وأن يسمع منهم كما يحب أن يسمعوا منه، وأن يريهم من نفسه حسن الاستماع لحديثهم ولو كان يعلمه من قبل. قال عطاء بن أبي رياح: إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئا وقال - أيضا - إن الشاب ليتحدث بالحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد [٣٧، ص١٠٥].

إن الداعية حين يستمع للمدعو يدفعه إلى الإفصاح عن حاجاته الحيوية، والتصريح بما يدور في نفسه، مما يكون سببا في القدرة على التأثير عليه وإزالة العقبات التي تعيق هدايته.

وينبغي للداعية أن يستمع للمخالفين له ويصبر على كلامهم وإن ظهر منهم الجهل والتعدي أو سوء الأدب وعدم التقدير له [٤٧، ص٢٤٠].

واستماع الداعية إلى المدعوين أدعى إلى تأثرهم به وبحديثه، ولا ينبغي أن يستأثر الداعية بالحديث دون المدعو قال يزيد بن أبي حبيب: إن فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع [٢١، جـ١، ص ١٣٧].

ثالثا: هيئة الداعية

إن حركات الداعية وهيئته ونبرات صوته لها أثرها الواضح في الاستماع وظهور نبرات الحزن مثلا في صوت الداعية عند روايته لقصة مؤثرة تدعو المستمع إلى مزيد من الإصغاء، ولذلك فصوت الداعية لا ينبغي أن يكون على وتيرة واحدة فلحالات الحزن نبرة والغضب نبرة والسرور نبرة.

كما أن تغيير وضع الجلسة أو حركة اليد له أثره في الاستماع وفي الحديث المتفق عليه عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟،" وكان متكئا فجلس، فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور" فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [١٥، الأدب، ٦؛ ٢٥، الإيمان، ٣٨].

وفي الحديث: استحباب انزعاج الواعظ في موعظته والخطيب في خطبته؛ ليكون ذلك أبلغ في الوعي عنه، والزجر عن فعل ما ينهى عنه [٥٠، جـ١، ص٤٠٨].

قال ابن حجر رحمه الله: "وسبب الاهتمام بذلك حتى جلس بعد اتكائه سهولة وقوع الناس فيه وتهاونهم به، ولأن مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف ما معه فقاصرة عليه غالبا" [١٢، جـ٥، ص٢٦٣].

إن تغيير الداعية لوضعه عندما يريد تأكيد معنى معين يزيد من قوة الإنصات عند المدعو وكذلك الأمر عندما يشعر الداعية بضعف الإنصات عند المدعو، فإن تغيير الداعية وضعه والتحرك بالجسم إلى الأمام والخلف كل ذلك يزيد من إنصات المدعو.

كما أن موقع الداعية من المدعوين يؤثر في الاستماع ولذلك شرع للخطيب أن يخطب على منبر؛ ليكون أبلغ في إسماعه للناس ورؤيتهم إياه [١٢، جـ١، ١٥٩].

رابعا: القدوة

إن مما يزيد من إنصات المدعو واستماعه إلى الداعية، أن يكون الداعية عاملا بما يقول غير مخالف له، فعندما يتحدث الداعية عن الزهد مثلا ينصرف المدعو بذهنه إلى هيئة الداعية فإن كان يرى عليه آثار الزهد أو يعلم عنه ذلك زاد إنصاته له وإن كان الأمر بخلاف ذلك كان ذلك سبيلا إلى تشتت ذهن المدعو وتفكيره في الداعية لا في كلامه.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن٨٧ ٪ من المعلومات المخزونة في عقول الناس تدخل عن طريق عيونهم وعندما تتناقض كلمات المتحدث مع أفعاله فإن المستمعين سوف يصدقون أفعاله [١٨ ، ص١٨].

خامسا: الاستنصات

ويندب للداعية أن يستنصت المدعوين قبل أن يشرع في دعوتهم لحديث جرير بن عبدالله رضي الله: قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "استنصت الناس"، ثم قال: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" [١٥ ، العلم، ٤٣ ؛ ٢٥ ، الإيمان، ٢٩].

وقد ساق الإمام النووي رحمه الله هذا الحديث في *رياض الصالحين* في باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام أو استنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه.

وفي الاستنصات تهيئة للمدعو لسماع موضوع الدعوة، ومن الألفاظ التي تقال للإستنصات كلمة صه، وقد قالتها أم إسماعيل ـ عليه السلام ـ لما أشرفت على المروة وسمعت صوتا قالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت [١٥ ، الأنبياء، ٩]. قال ابن الأثير رحمه الله: "صه كلمة زجر تقال عند الإسكات بمعنى اسكت وتكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وهي من أسماء الأفعال، وتنون ولا تنون، فإذا نونت فهي للتنكير كأنك تقول: اسكت سكوتا، وإذا لم تنون للتعريف أي اسكت السكوت المعروف منك» [٥ ، جـ٣، ص٦٣].

وقول أم إسماعيل صه كأنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي [١٢ ، جـ٦ ، ص٤٠٢].

سادسا: إثارة الاهتمام على طريق الأسئلة

ومن الوسائل التي تدعو المستمع إلى مزيد من الإنصات أن تكون بداية حديث الداعية تجذب المدعو للاستماع.

فالأسئلة المباشرة للمدعو عند بداية الحديث أو أثناءه تثير اهتمامه وتدعو إلى الإنصات بشكل أكبر. وتتعدد أغراض الأسئلة، فقد تكون لتأكيد المعنى عند المستمع كما كان في حجة الوداع لما سأل النبي ﷺ الصحابة في خطبته فقال: "أي شهر هذا؟" قال الراوي ـ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس ذا الحجة؟" قلنا: بلى، قال: "أي بلد هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس البلدة؟" قلنا بلى، قال: "فأي يوم هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس يوم النحر؟" قلنا: بلى، قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا..." [١٥، الأضاحي، ٥].

وسؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا فإن دماءكم... إلخ... مبالغة في تحريم هذه الأشياء [١٢، جـ١، ص١٥٩].

وقد تكون الأسئلة في بداية حديث الداعية ويقصد منها أن يضمن أكبر قدر من التوافق بينه وبين المدعوين وذلك بتوجيه أسئلة تكون أجابتها: نعم من قبل المدعو والداعية، وهي تفيد كثيرا في الإنصات من قبل المدعوين.

سابعا: معرفة استعداد المدعو ومتابعته أثناء الحديث

ومما يعين على حسن الاستماع والإنصات أن يتعرف الداعية قبل وأثناء الحديث على استعداد المدعو للاستماع، ويقيس الداعية ذلك بملاحظته لهيئة المدعو من السكوت

والنظر بالعين إلى الداعية وغير ذلك من العلامات التي يستدل بها الداعية على استعداد المدعو للاستماع. إن الداعية إذا كان قوي الملاحظة مهتما بمدى تأثيره على المدعوين فإنه نادرا ما يكون مضطرا لسؤالهم عن مدى إنصاتهم له لأنه يعرف ذلك من خلال هيئاتهم وردود أفعالهم [١٨، ص١٩].

إن الوعي لما يقوله الداعية يتطلب مزيدا من الإعداد والتهيئة للنفس، وينبغي للداعية أن لا يبدأ حديثه إلا إذا ظهر من المدعو الاهتمام والاستعداد للاستماع [١٣، ص ص٤٣، ١١٩].

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فتورا فأمسك" [٤٣، جـ١، ص١٠٤؛ ٥، جـ١، ص٣٥٢]. وقال مطرف بن عبدالله: "لاتطعم طعامك من لا يشتهيه، يعني لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليه بوجهه" [٤٤، جـ١، ص١٠٤؛ ٤٥، جـ١، ص١٩٥].

ولذلك ينبغي للداعية إذا أنكر عين السامع أو وجده لم يخلص له في الاستماع أو كان لاهيا عنه أن يتوقف عن حديثه أو يستفهمه عن معنى حديثه [٤٥، جـ١، ص١٩٥]، واهتمام الداعية باستعداد المدعو وحسن استماعه يزيد من نشاط الداعية وقوة حديثه؛ لأن نشاط المتحدث على قدر فهم المستمع.

فإنصات المدعو وقوة فهمه خير معين للداعية في حديثه. وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحث التالي.

ثامنا: إثارة الاهتمام عن طريق التكرار وأدوات التنبيه

يأتي التكرار في الكلام لتأكيد المعنى أو لتهيئة النفس للاستماع لما يقال، ومن أمثلة ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر" ثلاثا.

وقوله ﷺ : "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه"[٤] [١٥، الأدب، ٢٩].

وقوله ﷺ: لأصحابه: "ألا تسمعون، ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان" [٥١، الترجل، ١؛ ٥٢، جـ١، ص١٠٥٨].

قال ابن علان في *دليل الفالحين*: ألا حرف استفتاح وأتي به تحريضا للاستماع لما بعدها وليتنبه المخاطب من غفلته، ليتوجه لسماع ما يلقى إليه، وقوله: تسمعون، تصريح بالإصغاء والاستماع سماع فهم وانتفاع، مع أنه ﷺ عالم بأنهم يستمعون لما يقوله ويبادرون إلى امتثاله [٤٣، جـ٢، ص ص١٨٠، ٤٨٦].

المبحث الثالث: الوسائل المتعلقة بالمدعو

أولا: معرفة أهمية الاستماع وحكمه

إن من الوسائل المعينة على حسن الاستماع من قبل المدعو معرفته لحكم الاستماع والإنصات وتقدم الحديث عن وجوب الإنصات لخطبة الجمعة ولقراءة القرآن.

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابا في الإنصات للعلماء وساق حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: "استنصت الناس" [١٥، العلم، ٤٣].

قال ابن حجر رحمه الله الإنصات للعلماء: أي السكوت والاستماع لما يقولونه.

وذكر من فوائد الحديث ما قاله ابن بطال أن الإنصات للعلماء لازم للمتعلمين لأن العلماء ورثة الأنبياء [١٢، جـ١، ص٢١٧].

---

٤ البوائق: الشرور [٥، جـ١، ص١٦٢].

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "يجب الإنصات لقول كل واعظ" [١٦، جـ٣، ص٣١٩]، إن مما يزيد من إنصات المدعو ويدعوه إلى حسن الاستماع علمه بأهمية الإنصات وأن الشارع قد أوجبه حال قراءة القرآن وحال سماع الخطبة والموعظة ولذلك فإن انتفاع المدعو بالقرآن والخطبة والموعظة يرتبط مباشرة بإنصاته وحسن استماعه.

ثانيا: تواصي المدعوين بالإنصات وحسن الاستماع

لا يقف المدعو عند إنصات نفسه ودعوتها إلى الاستماع بل لابد أن يدعو غيره إلى الإنصات، وهذا من التواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى وهو وسيلة إلى منع التشويش الذي يصرف المدعوين عن حسن الاستماع.

وعندما صرف الله نفرا من الجن يستمعون القرآن أوصى بعضهم بعضا بالإنصات قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الأحقاف، آية ٢٩].

وكان إنصاتهم وحسن استماعهم سببا في استجابتهم للحق وعودتهم إلى قومهم منذرين لهم: ﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الأحقاف، الآيات: ٣٠ - ٣٢].

قال قتادة رحمه الله: قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا [٣٢، جـ٢٦، ص٣٣]. وقال في *التحرير والتنوير*: "قالوا كلهم أنصتوا كل واحد يقولها للبقية حرصا على الوعي فنطق بها جميعهم" [٣٧، جـ٦، ص٥٩].

وفي قولهم أنصتوا تأدب مع العلم في تعلمه ومع معلمه [٢٧، جـ٧، ص١٤١].

ثالثا: إدراك المدعو ضرورة الاستماع الجيد

تقدم في الحديث عن الوسائل المتعلقة بالداعية أن حسن استماع المدعو يعود بالفائدة على الداعية. حيث إن المدعو يمارس التغذية العكسية بتشجيعه الصادق في الاستماع وتفاعله مع الداعية [١٣ ، ص١٢٥].

ولذلك فإن إنصات المستمع وإصغاءه يزيد في قوة المتحدث.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "إن حسن الاستماع قوة للمحدث" [٤٥ ، جـ١ ، ص٢٠١].

وإذا كان على المدعو أن يدرك وجوب الاستماع فإن عليه أن يعلم أن فائدة استماعه تعود إليه وإلى الداعية.

ولذلك ينبغي للداعية أن يذكر المدعوين بضرورة الإنصات والاستماع الجيد وحضور الذهن والإصغاء بالقلب إلى الموضوع الذي يتحدث عنه.

كما ينبغي أن يكون للناس اهتمام بالتربية على حسن الإنصات والإصغاء منذ الصغر وأن يكون لهم حظ وافر من الاستماع.

رابعا: التغاضي عن عيوب الداعية

إن من أهم الأسباب التي تساعد على الإنصات الجيد تغاضي المدعو عن عيوب الداعية ؛ لأن النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لايعمل بعلمه ولاينتفع به [٢٦ ، جـ١ ، ص ٤٤٦].

وعلاقة الداعية بالمدعو توجب على كل منهما أن يستر عيب الآخر ولايتحدث به وللداعية حق على المدعو "أن يجمع له باله ويصغي إلى حديثه ، ويكتم عليه سره ويبسط له عذره" [٤٥ ، جـ١ ، ص١٩٥].

فيجب على المدعو أن لا يبحث عن عيوب الداعية "ولا يجعل لرأيه الشخصي تأثيرا مسبقا على استعداده للإنصات إليه سواء كان السبب في مظهره أو شكله أو فكره" [١٣ ، ص١٢٤]. إن بعض المدعوين يحفظ الأخطاء التي يقع فيها الداعية ليتحدث بها، فتقل أو تنعدم استفادته من الحديث فلابد أن يعذر المدعو الداعية على ما يبدر منه من زلل أو خطأ.

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام هذا البحث، وقد حاولت من خلاله بيان أهمية الاستماع وضرورة اهتمام الدعاة والمدعوين به ومعرفة طرقه وأدواته وتبين لي من خلال ذلك بعض النتائج التي من أبرزها.

١ ـ إن الاستماع جزء مهم في حياة كل إنسان، وكما أن على كل فرد أن يتعلم كيف يتكلم فإن عليه أيضا أن يتعلم كيف يستمع وهذا الأمر يجب أن يبدأ مع المرء من صغره وفي مراحل تعليمه الأولى فكما يتعلم القراءة والكتابة يتعلم الاستماع إلى الآخرين.

٢ ـ تبين من خلال هذه الدراسة أن أصول الاستماع وطرائقه وأصناف المستمعين كان مجال اهتمام واسع من علماء المسلمين قديما فهم وإن لم يضعوا مصنفات مفردة لهذا الموضوع إلا أن كتبهم لم تخل من الحديث عنه.

٣ ـ إن الاستماع والإنصات والإصغاء عمل متكامل يقوم به الفرد لفهم وإدراك معاني الحديث، ولا يصح فهم المرء إلا بأن تجتمع له هذه الثلاثة فيستمع بأذنيه وينصت بلسانه وعينيه ويصغي بقلبه وبدنه.

٤ ـ إن تحسين الاستماع لا يتعلق بالمدعو فقط بل بجميع أركان الدعوة فالداعية والوسيلة ومضمون الدعوة والمكان والزمان كل ذلك له أثره في تحسين الاستماع.

٥ ـ إن الاستماع الصحيح سبب في نجاح الداعية واستجابة المدعوين، ويتفاوت الناس في الاستماع والإنصات، وتبعا لذلك تكون استجابتهم لكلام الداعية. ولذلك فإن الداعية مطالب بأن يسعى إلى معرفة قدرات المدعوين في الاستماع كما أن عليه أن يبين أهمية الاستماع؛ لأن الاستماع الصحيح سبب في فهم المدعو للدعوة وإدراكه لمضمونها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجـــــــع

[١] الأصفهاني، الراغب. *المفردات في غريب القرآن*. بيروت: دار الفكر، د.ت.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، د.ت.

[٣] العثيمين. محمد بن صالح. *شرح العقيدة الواسطية*. ط٢. الرياض: دار الثريا، ١٤١٧هـ.

[٤] ابن فارس، أحمد. معجم *مقاييس اللغة*. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٤٠٢هـ.

[٥] ابن الأثير، ابن المبارك بن محمد الجزري. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. لاهور: أنصار السنة، د.ت.

[٦] ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. ط١. المدينة: مكتبة طيبة، ١٤١٠هـ.

[٧] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير*. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ.

[٨] القرطبي، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.

[٩] ابن مفلح، شمس الدين محمد. *الآداب الشرعية والمنح المرعية*. القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت.

[١٠] الصويان، أحمد. *الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية*. ط١. الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ.

[١١] السيوطي، جلال الدين. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

[١٢] ابن حجر، أحمد بن علي. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

[١٣] هلال، محمد عبدالغني. *مهارات الاتصال*. ط٢. القاهرة: مركز تطوير الأداء، ١٩٩٦م.

[١٤] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ط٢. بيروت: مؤسسة آسام، ١٤١٧هـ.

[١٥] البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. ط١. الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ.

[١٦] البغوي، الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل*. الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩هـ.

[١٧] سعيد، أحمد راشد. *فن الكلام مدخل إلى علم الاتصال*. ط١. الرياض: دار جبل الشيخ، ١٤١٨هـ.

[١٨] ديب، سام. *الخطوات الذكية*. ترجمة سامي سليمان. ط١. الرياض: دار المؤتمن للنشر، ١٤٠٧هـ.

[١٩] كوفي، ستيفن. *العادات السبع للقادة الإداريين*. ترجمة هشام عبدالله. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م.

[٢٠] البغدادي، الخطيب. *كتاب الفقيه والمتفقه*. ط١. الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٧هـ.

[٢١] ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. *جامع بيان العلم وفضله*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

[٢٢] البستي، محمد بن حبان. *روضى العقلاء ونزهة الفضلاء*. مكة: دار الباز، د.ت.

[٢٣] ابن حنبل، الإمام أحمد. *كتاب الزهد*. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ.

[٢٤] الذهبي، شمس الدين. *سير أعلام النبلاء*. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

[٢٥] النيسابوري، الإمام مسلم. *صحيح مسلم*. ط١. بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.

[٢٦] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *مدارج السالكين*. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ.

[٢٧] البقاعي، برهان الدين. *نظم الدرر في تناسب الآي والسور*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

[٢٨] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. *زاد المعاد في هدي خير العباد*. ط١٣. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

[٢٩] النووي، يحيى بن شرف. *شرح صحيح مسلم*. ط١. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ.

[٣٠] عبدالحليم. محيي الدين. *خطبة الجمعة والاتصال بالجماهير*. القاهرة: مكتبى الأنجلو، د.ت.

[٣١] القرني، علي. *حتى لا تكون كلا*. ط١. جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤١٨هـ.

[٣٢] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ط٣. القاهرة: البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ.

[٣٣] ابن تيمية، شيخ الإسلام. *مجموع الفتاوى*. مكة المكرمة: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، د.ت.

[٣٤] ابن حجر، أحمد بن علي. *الإصابة في تمييز الصحابة*. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

[٣٥] العثيمين، محمد بن صالح. *شرح رياض الصالحين*. ط١. الرياض: دار الوطن، ١٤١٦هـ.

[٣٦] الفوزان، صالح. *الضياء اللامع من الأحاديث الجوامع*. ط٢. الرياض. مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٦هـ.

[٣٧] ابن عاشور، الطاهر. *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت.

[٣٨] الكناني، ابن جماعة. *تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم*. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

[٣٩] كينان، كيت. *أساليب الإقناع الإداري*. ط١. ترجمة مركز التعريب والترجمة. بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤١٧هـ.

[٤٠] فراج، عزالدين. *فن الحديث*. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

[٤١] كارلسون، ريتشارد. *لا تهتم بصغائر الأمور*. ط١. الرياض: مكتبة جرير، ١٩٩٩م.

[٤٢] النووي، الإمام يحيى بن شرف. *رياض الصالحين*. الرياض: دار الوراق، ١٤١٦هـ.

[٤٣] الصديقي، ابن علان. *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*. بيروت: دار الفكر، د.ت.

[٤٤] الجاحظ، أبو عثمان عمرو. *البيان والتبيين*. بيروت: دار الجيل، د.ت.

[٤٥] القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم. *زهر الآداب وثمر الألباب*. ط٤. بيروت: دار الجيل، د.ت.

[٤٦] أرنبورج، جونز. *الإلقاء الناجح*. ط١. ترجمة جمالات هاشم. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ.

[٤٧] زمزمي، يحيى. *الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة*. ط١. مكة: دار التربية، ١٤١٤هـ.

[٤٨] هشام، عبدالملك. *السيرة النبوية*. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربية، ١٤١٥هـ.

[٤٩] الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله. *المستدرك على الصحيحين*. ط١. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ.

[٥٠] الهلالي، سليم. *شرح رياض الصالحين*. ط١. الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ.

[٥١] السجستاني، أبو داود. *سنن أبي داود*. ط١. بيروت: دار ابن حزم. ١٤١٩هـ.

[٥٢] الألباني، محمد ناصر. *صحيح الجامع الصغير وزيادته*. ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

Listening in the Field of Islamic Call: Its Importance and Ways of Development

Abdullah Bin Ibrahim Alluhaidan
Assistant Professor, Dept. of Islamic Call,
College of Islamic Call and Communication.
Al-Imam Muhammad Bin Saud Islamic University,
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. Listening occupies an important part in every man's life. It is a basic tool in acquiring knowledge, and delivering Islamic call to people, thus guiding them to Islam.

This research aims to point out the concept of listening and its importance in the field of calling people to Allah, to show its necessity for both those who are being call to Allah and those called. For this reason, the researcher shows the essence of listening, hearing and auditing, types and degrees of listening, kinds of listeners and the means of good listening.

The present research is divided into two chapters, each has three parts, followed by a conclusion containing some of the results attained by the researcher.